بسم الله الرحمن الرحيم

٦٩ ـ سورة الحاقة

مكية . وآيها إحدى وخمسون .

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (ٱلْحَآقَّةُ)

[٢] (مَا ٱلْحَآقَّةُ)

[٣] (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ)

« ٱلْحَآقَّةُ » أى الساعة الحاقة التى تحق فيها الأمور ، ويجب فيها الجزاء على الأعمال . من قولهم : حق عليه الشىء ، إذا وجب . وقوله : « مَا ٱلْحَآقَّةُ » من وضع الظاهر موضع المضمر ، تفخيماً لشأنها ، وتعظيماً لهولها . « وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ » قال بعضهم : من عوائد العرب فى محاوراتهم اللطيفة، إذا أرادوا تشويق المخاطب فى معرفة شىء ودرايته، أتوا بإجمال وتفصيل . أى : أىّ شىء أعلم المخاطب ماهى ؟ تأكيداً لتفخيم شأنها ، حتى كأنها خرجت عن دائرة علم المخاطب . على معنى: أن عظم شأنها ، وما اشتملت عليه من الأوصاف، مما لم تبلغه دراية أحد من المخاطبين، ولم تصل إليه معرفة أحد من السامعين، ولا أدركه وهمه، وكيفما قدر حالها، فهى وراء ذلك وأعظم . ومنه يعلم أن الاستفهام كناية عن لازمه، من أنها لاتعلم ، ولا يصل إليها دراية دارٍ ، ولا تبلغها الأفكار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ)

[٥] (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ)

[٦] (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)

[٧] ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾

[٨] ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾

« كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ » أى بالساعة التى تقرع الناس بأهوالها وهجومها عليهم. قال الزمخشرىّ: ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع فى الحاقة، زيادة فى وصف شدتها. ولمّا ذكرها وفخمها، أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها، وما حل بهم بسبب التكذيب، تذكيراً لأهل مكة، وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم.

« فَأَمَّا ثَمُودُ » وهم قوم صالح عليه السلام « فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ » أى بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة، أو بطغيانهم. و (الطاغية) مصدر كالعافية.

« وَأَمَّا عَادٌ » وهم قوم هود عليه السلام « فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ » أى : شديدة العصوف والبرد « عَاتِيَةٍ » أى : متجاوزة الحد المعروف فى الهبوب والبرودة.

« سَخَّرَهَا » أى: سلطها « عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا » أى متتابعات من (حسمت الدابة)، إذا تابعت بين كيّها. شبه تتابع الريح المستأصلة بتتابع الكىّ القاطع للداء. أو معناه : نحسات، حسمت كل خير واستأصلته. أو قاطعات، قطعت دابرهم. هذا على أن (حُسُومًا) جمع حاسم، كشهود وقعود. فإن كان مصدراً فنصبه بمضمر. أى تحسم حسوماً، أو بأنه مفعول له. أى سخرها عليهم للحسوم، أى الاستئصال. وقد قيل: إن تلك الأيام هى أيام العجز. والعامة تقول : (العجوز) وهى التى تكون فى عجز الشتاء، أى آخره.

« فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ » أى هلكى، جمع صريع « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ » أى ساقطة مجتثة من أصولها كآية[1] : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾

« فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ » أى : بقاء. أو نفس باقية، أو بقية.

(١) [٥٤ / القمر / ٢٠].

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩] (وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ)

[١٠] (فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً)

[١١] (إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ)

[١٢] (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ)

« وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ » أى : من الأمم المكذبة ، كقوم نوح وعاد وثمود « وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ » وهى قرى قوم لوط « بِٱلْخَاطِئَةِ » أى : بالخطأ ، أو الأفعال الخاطئة ، على المجاز فى النسبة. « فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً » أى: زائدة فى الشدة. « إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ » أى: كثر وتجاوز حده المعروف ، بسبب إصرار قوم نوح على الكفر والمعاصى، وتكذيبه، عليه السلام « حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ » أى السفينة التى تجرى فى الماء.

قال ابن جرير(١) : خاطب الذين نزل فيهم القرآن ، وإنما حمل أجدادهم نوحاً وولده، لأن الذين خوطبوا بذلك ، ولد الذين حُملوا فى الجارية، فكان حملُ الذين حملوا فيها من الأجداد، حملًا لذريتهم .

« لِنَجْعَلَهَا » أى تلك الفعلة التى هى إنجاء المؤمنين ، وإغراق الكافرين « لَكُمْ تَذْكِرَةً » أى : آية وعبرة تذكرون بها صدق وعده فى نصر رسله ، وتدمير أعدائه .

« وَتَعِيَهَآ » أى تحفظها « أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ » أى حافظة لما سمعت عن الله، متفكرة فيه .

---

(١) انظر الصفحة رقم ٥٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبى الثانية) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣] (فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ)

[١٤] (وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً)

[١٥] (فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ)

[١٦] (وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ)

[١٧] (وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ)

« فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ » أى : لخراب العالم .

قال أبو السعود : هذا شروع فى بيان نفس الحاقة ، وكيفية وقوعها ، إثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها .

« وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً » أى : رفعتا وضربتا ببعضهما من شدة الزلازل . وفى توصيفها بالوحدة تعظيم لها ، وإشعار بأن المؤثر لدكّ الأرض والجبال وخراب العالم ، هى وحدها ، غير محتاجة إلى أخرى .

« فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ » أى : نزلت النازلة ، وهى القيامة .

« وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ » أى : انصدعت « فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ » متمزقة .

« وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا » أى : جوانبها وأطرافها حين تشقق . « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ » أى : فوق الملائكة الذين هم على أرجائها « يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ » أى : من الملائكة أو من صفوفها .

قال ابن كثير : يحتمل أن يكون المراد بهذا العرش (العرش العظيم) ، أو العرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة ، لفصل القضاء ، ـ والله أعلم ـ انتهى .

ومثله ، من الغيوب التى يؤمن بها ، ولا يجب اكتناهها . وتقدم فى سورة الأعراف ،

obeikandi.com

فى تفسير آية[1] (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) كلام لبعض علماء الفلك على هذه الآية، فتذكره .

وذهب بعض منهم إلى أن المراد بالعرش ملكه تعالى للسموات والأرض ، وبـ (الثمانية) السموات السبع والأرض . وعبارته : (وَيَحْمِلُ) بالجذب (عَرْشَ رَبِّكَ) أى : ملك ربك للأرض والسموات (فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ) أى : فوق الملائكة الذين هم على أرجائها يوم القيامة ، (ثَمَٰنِيَةٌ) أى : السموات السبع والأرض .

قال : وهـذا يدل على أن (السبع) ليس للكثرة ، بل المراد به الحقيقة . فهم ثمانية يحملون العرش ، أى : ملك الأرض والسموات السبع بالجذب ، كما هو حاصل اليوم . ولكن ذلك يكون بشكل عظيم جدًّا .

ثم قال : ولا وجه لمعترض يقول : إن حملة العرش مسبحة ، لقوله تعالى[2] : (ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) فكيف تسبح السموات والأرض؟ لأنه يجاب بقوله تعالى[3] : (تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ) . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٨] (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ)

[١٩] (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ)

[٢٠] (إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ)

[٢١] (فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)

[٢٢] (فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)

[٢٣] (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)

[٢٤] (كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ)

(١) [٧/ الأعراف/ ٥٤]. (٢) [٤٠/ غافر/ ٧]. (٣) [١٧/ الإسراء/ ٤٤].

« يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ » أى : على ربكم للحساب والمجازاة « لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ » أى سريرة كانت تخفى فى الدنيا بستر الله .

« فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ » أى : علامة لفوزه « فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ » أى : تعالوا ، أو خذوا . والهاء للسكت ، لا ضمير غيبة .

قال الشهاب : فحقها أن تحذف وصلا ، وتثبت وقفاً ، لتصان حركة الموقوف عليه ، فإذا وصل استغنى عنها . ومنهم من أثبتها فى الوصل لإجرائه مجرى الوقف ، أو لأنه وصل بنيّة الوقف . وإثباتها وصلًا قراءة صحيحة ، ولا يلتفت لقول بعض النحاة : إنها لحن .

« إِنِّى ظَنَنتُ » أى : علمت « أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ » أى جزائى يوم القيامة . أى : فأعددت له عدته من الإيمان والعمل الصالح .

« فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ » أى : ذات رضا ، ملتبسة به ، فيكون بمعنى (مرضية) . أو الأصل : راض صاحبها ، فأسند الرضا إليها ، لجعلها ، لخلوصها عن الشوائب ، كأنها نفسها راضية مجازاً . ويجوز أن يكون فيه استعارة مكنية وتخييلية ، كما فصل فى (المطول) .

« فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا » جمع قِطْف بكسر القاف ، وهو ما يقطف من ثمرها « دَانِيَةٌ » أى قريبة سهلة التناول .

« كُلُواْ » أى: يقال لهم كلوا « وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ » أى : الماضية فى الحياة الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ)

[٢٦] (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ)

[٢٧] (يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ)

[٢٨] (مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ)

[٢٩] ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾

[٣٠] ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾

[٣١] ﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾

[٣٢] ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾

[٣٣] ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

[٣٤] ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾

[٣٥] ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴾

[٣٦] ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾

[٣٧] ﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾

« وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ » أى : عندما يلاقى العذاب « يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ » أىْ : أىَّ شىء حسابى .

« يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ » قال ابن جرير[1] : أى ياليت الموتة التى متُّها فى الدنيا كانت هى الفراغ من كل مابعدها ، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث . و (القضاء) هوالفراغ . وقيل : إنه تمنى الموت الذى يقضى عليه ، فتخرج منه نفسه .

« مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ » أى : ما دفع من عذاب الله شيئاً .

« هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ » أى ملكى وتسلطى على الناس . أو حجتى ، فلا حجة لى أحتج بها .

« خُذُوهُ » أى : يقال لخزنة النار : خذوه بالقهر والشدة « فَغُلُّوهُ » أى : ضموا يده إلى عنقه ، إذ لم يشكر ما ملكته .

(١) انظر الصفحة رقم ٦٢ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

« ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ » أى : أدخلوه ليصلىٰ فيها ، لأنه لم يشكر شيئاً من النعم ، فأذيقوه شدائد النقم .

ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ » أى حلقة منتظمة بأخرى ، وهى بثالثة ، وهلم جرا .

« ذَرْعُهَا » أى : مقدارها « سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ » فأدخلوه فيها . أى : لفوه بها ، بحيث يكون فيما بين حلقها مرهقاً ، لا يقدر على حركة .

قال القاشانىّ : والسبعون فى العرف عبارة عن الكثرة غير المحصورة ، لا العدد المعيّن ثم علل استحقاقه ذلك، على طريقة الاستئناف ، بقوله : « إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ » أى : المستحق للعظمة وحده ، بل كان يشرك معه الجماد المهين .

« وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ » أى : إطعامه ، فضلًا عن بذله ، لتناهى شحه.

« فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ » أى : قريب تأخذه الحمية له .

« وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ » أى : من غسالة أهل النار وصديدهم .

قال ابن جرير(١) : كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : كل جرح غسلته فخرج منه شىء فهو (غسلين) ـ فعلين ـ من الغسل من الجراح والدَّبَر ، وزيد فيه الياء والنون بمنزلة عفرين.

« لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ » أى . الآثمون، أصحاب الخطايا . يقال : خطىء الرجل، إذا تعمد الخطأ . قال الرازىّ : الطعام ما هيئ للأكل . فلما هيئ الصديد ليأكله أهل النار كان طعاماً لهم . ويجوز أن يكون المعنى أن ذلك أقيم مقام الطعام ، فسمى طعاماً . كما قال(٢) :

* تحيَّةُ بَيْنِهِمْ ضرب وجيعُ *

---

(١) انظر الصفحة رقم ٦٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

(٢) صدره : * وخيلٍ قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ *

وقائله عمرو بن معدى كَرِبَ (نوادر أبى زيد ص ١٤٩) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٨] (فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ)

[٣٩] (وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)

[٤٠] (إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)

[٤١] (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ)

[٤٢] (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ، قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)

[٤٣] (تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

« فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ » أى : بالمشاهدات والمغيبات . وهذا القسم ـ كما قال الرازىّ ـ يعم جميع الأشياء على الشمول ، لأنها لا تخرج من قسمين : مبصر وغير مبصر ، فشمل الخالق والخلق ، والدنيا والآخرة ، والعالم العلوىّ والسفلىّ ، وهكذا . وتقدم فى (الواقعة) الكلام على كلمة (لا أقسم) فتذكر .

« إِنَّهُۥ » أى : القرآن « لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » وهو محمد ﷺ، يبلغه عن الله تعالى، لأن الرسول لا يبلغ عن نفسه .

« وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ » أى : كما تزعمون ، فإن بين أسلوبه وحقائقه ، وبين وزن الشعر وخيالاته ، بعد المشرقين .

« قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ » . تصدقون بما ظهر صدقه وبرهانه، عناداً وعتوًّا . والقلة كناية عن النفى والعدم . ونصب (قَلِيلًا) على أنه نعت لمصدر ، أو زمان مقدر . أى إيمانًا وزمانًا. والناصب (تُؤْمِنُونَ) أو (تَذَكَّرُونَ) . و (مَا) زائدة ـ هـذا ما قاله ابن عادل ـ وقال ابن عطية : يحتمل أن تكون نافية ومصدرية .

« وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ » أى كما تدعون أخرى بأنه من سجع الكهان « قَلِيلًا

obeikandl.com

مَّا تَذَكَّرُونَ » أى تتعظون وتعتبرون . قيل : نفى الإيمان فى الأول ، والذكرى فى الثانى ، لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بيّن ، لاينكره إلا معاند . فلا عذر لقائله فى ترك الإيمان ، وهو أكفر من حمار . وأما مباينته للكهانة ، فيتوقف على تذكّرٍ ما ، لأن الكاهن يأخذ جُعْلًا ، ويجيب عما سئل عنه ، ويتكلف السجع ، ويكذب كثيراً ، وإن التبس على الحمق لإخباره عن بعض المغيبات بكلام منثور ، فتأمّل .

« تَنزِيلٌ » أى هو تنزيل « مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » أى ممن ربّاهم بصنوف نعمه ، ومنها ما نزله وأوحاه ليهتدوا به إلى سبل السعادة ، ومناهج الفلاح .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٤] (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ)

[٤٥] (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ)

[٤٦] (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ)

[٤٧] (فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ)

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ » أى افترى علينا . وسمى الكذب تقوّلا ، لأنه قول متكلف ، كما تشعر به صيغة التفعّل . و (ٱلْأَقَاوِيلِ) إما جمع (قول) على غير القياس ، أو جمع الجمع كالأناعيم ، جمع أقوال وأنعام . قيل: تسمية الأقوال المفتراة (أقاويل) تحقيراً لها ، كأنها جمع أفعولة من القول ، كالأضاحيك .

« لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ » قال ابن جرير[1] : أى لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة ، ثم لقطعنا منه نياط القلب . وإنما يعنى بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة ، ولا يؤخّره بها . وقد قيل: إن معنى قوله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ) لأخذنا منه باليد اليمنى

(١) انظر الصفحة رقم ٦٦ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

obeikandi.com

من يديه . قال : وإنما ذلك كقول ذى السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض مَن بين يديه لبعض أعوانه : خذ بيده، فأقمه ، وافعل به كذا وكذا: قالوا : وكذلك معنى قوله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ) أى لَأَهَنَّاهُ . كالذى يفعل بالذى وصفنا حاله . انتهى .

وقال الزمخشرىّ : المعنى لو ادّعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً ، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم ، معاجلة بالسخط والانتقام . فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده ، وتضرب رقبته . وخص اليمين عن اليسار ، لأن القاتل إذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره ، وإذا أراد أن يوقعه فى جيده ، وأن يكفحه بالسيف ، وهو أشد على المصبور ، لنظره إلى السيف ، أخذ بيمينه . فمعنى (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ) لأخذنا بيمينه . كما أن قوله (لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ) لقطعنا وتينه ، وهذا بيّن . انتهى .

وما قرره الزمخشرىّ أبلغ فى المراد ، وهو بيان المعاقبة بأشد العقوبة ، إذ على الأول يفوت التصوير والتفصيل والإجمال ، لأن قوله (بِٱلْيَمِينِ) بعد (لَأَخَذْنَا مِنْهُ) بيان بعد الإبهام ، ويصير قوله (مِنْهُ) زائداً من غير فائدة ، ويرتكب المجاز من غير فائدة أيضاً ـ كما فى (العناية) ـ .

« فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ » أى ليس أحد منكم يحجزنا عنه ، ويحول بيننا وبين عقوبته ، لو تقوّل علينا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٨] (وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)

[٤٩] (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ)

[٥٠] (وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ)

[٥١] (وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ)

[٥٢] (فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ)

« وَإِنَّهُۥ » أى القرآن « لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ » أى عظة لمن يتقى عقاب الله بالإيمان به وحده ، وما نزل من عنده . « وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ » أى له ، إيثاراً للدنيا والهوى . أى فنجازيكم على إعراضكم . « وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ » أى ندامة عليهم ، إذا رأوا ثواب المؤمنين به . « وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ » أى للحق اليقين الذى لا ريب فيه . « فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ » أى دُمْ على ذكر اسمه ، وادأب على الدعوة إليه وحده ، وإلى ما أوحاه إليك . فالعاقبة لك ، ولمن اتبعك من المؤمنين .

obeikandl.com